حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

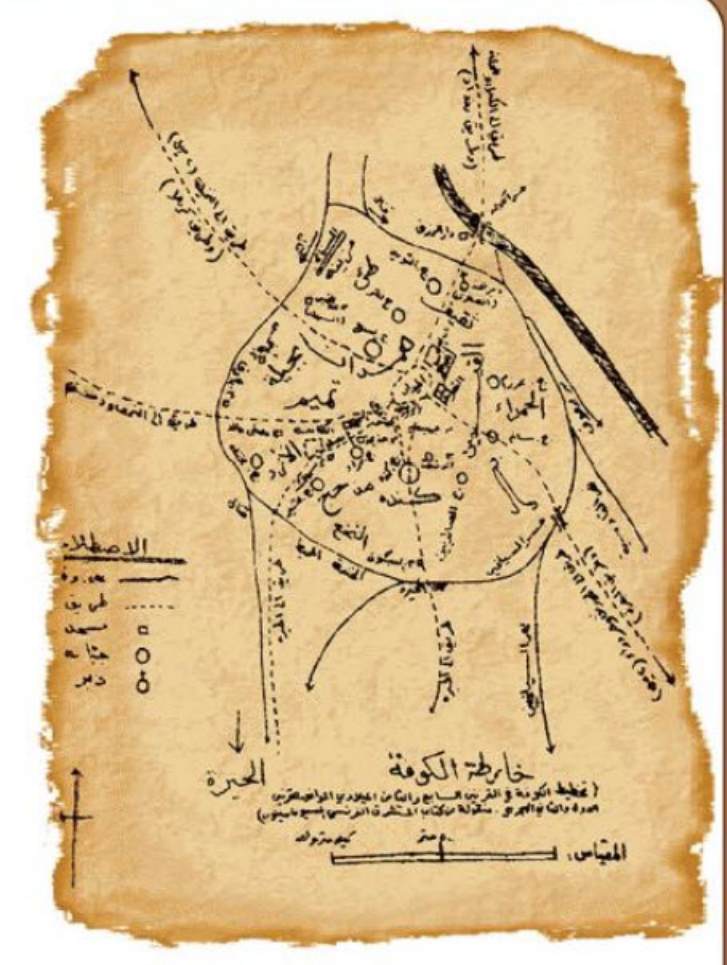

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الكوفة في مرويات مؤرخي القرنين الرابع والخامس للهجرة

الطبري (ت ٣١٠هـ) والبكري (ت٤٧٨هـ) أنموذجاً

الدكتور صباح كريم رياح الفتلاوي - الأستاذة إيمان نصيف جاسم

مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

المقدمة

تعتبر الكوفة من أهم المدن التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ العربي الإسلامي، فهي المدينة العربية الإسلامية الثانية التي أسست في العراق بعد البصرة، إذ خطت المدينة في العام (١٧) للهجرة بأمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أن خطت البصرة في العام (١٥) للهجرة.

وكان ترك العرب المسلمين لمدينة المدائن عاصمة الساسانيين، وكذلك طبيعة الجو الصحراوي الذي يتوافق مع طبيعة المقاتلين في الكوفة من الأسباب الموجبة لإنشاء هذه المدينة، بعد أن وجد الخليفة عمر ضرورة قيام قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق لتكون بديلاً للمدائن، فتوافد نتيجة لذلك بعد العرب الذين سكنوها في البداية، الكثير من الفرس والسريان واليهود والنصارى، وكثر فيها العمران لتأخذ دورها الكبير في الحياة العربية الإسلامية.

إن اختيار الإمام علي عليه السلام للكوفة عاصمة للدولة العربية وانتقاله إليها من المدينة المنورة سنة (٣٥هـ) قد أعطى للكوفة أهمية أكبر نتيجة الأحداث التي حصلت في فترة خلافة الإمام علي عليه السلام يخرد لمحاربتهم فكانت الكوفة، هي العاصمة وهي القاعدة العسكرية للدولة العربية الإسلامية.

ومع الأهمية الكبيرة لهذه المدينة إلا أننا نجد عدداً قليلاً من المؤرخين قد تطرق إلى خطط الكوفة وكيفية بنائها وتمصيرها، من خلال كتبهم التي تناولوا فيها البلدان بصورة عامة أمثال (الطبري) (ت ٣١٠هـ) في كتابه (تاريخ الأمم والملوك)، و(اليعقوبي) (ت ٢٨٤هـ) في كتابه (البلدان)، و(البلاذري) (ت٢٨٤هـ) في كتابه (فتوح البلدان) و(أبي عبد الله البكري) (ت ٤٨٧هـ) في كتابه (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) وغيرهم.

وفي هذا البحث وقع اختياري على الطبري (من مؤرخي القرن الرابع الهجري) والبكري (من مؤرخي القرن الخامس الهجري) لغرض دراسة وتناول خطط الكوفة من خلال مروياتهما المذكورة كمصادر أساسية في البحث بالإضافة إلى العديد من المراجع التي أفردت لها قائمة مستقلة في نهاية البحث ومن أهمها، كتاب (العوامل التاريخية لنشأة وتطوير المدن العربية الإسلامية) لـ(مصطفى عباس الموسوي)، وكتاب (خطط الكوفة وشرح خريطتها) لـ(الماسينون)، وكذلك كتاب (تخطيط مدينة الكوفة) (للدكتور كاظم الجنابي)، إضافة إلى بعض الكتب الأدبية ومنها كتاب (الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة) لـ(يوسف خليف).

وقد وزعت مفردات البحث إلى مقدمة وفصلين، كان الأول منهما بثلاثة مباحث، اشتمل المبحث الأول على تاريخ موجز لحياة الطبري (ت ٣١٠هـ) ومنهجه التاريخي، وتحدث المبحث الثاني عن تاريخ الكوفة وتسميتها وتمصيرها، بينما كان المبحث الثالث عن تخطيط الكوفة وتقسيماتها وأول ما اختط فيها من المسجد الجامع إلى الجبانات حسب ما جاء في مرويات الطبري.

أما الفصل الثاني فكان بمبحثين تناول الأول منهما مدينة الكوفة وتمصيرها وخططها بصورة عامة، بينما اشتمل المبحث الثاني على كل ما ورد في مرويات البكري (ت ٤٧٨هـ) في كتابه (معجم ما استعجم..) بعد جرد الكتاب وتثبيت ما ورد فيه بدون إضافة أو حذف، ثم عرجت على وختاماً أتمنى أن أكون قد وفقت في ما أبتغيه، وهذه أقصى غاياتي، وإن تخلل البحث بعض الثغرات فأنا أتحمل تبعاتها ما دام هدفنا جميعاً خدمة الحقيقة والعلم.

ومن الله سبحانه وتعالى التوفيق وبه نستعين

* * *

الفصل الأول

المبحث الأول

الطبري

حياته:

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري[١]، ولد سنة ٢٢٤هـ بأمل بطبرستان، توفي سنة ٣١٠هـ في بغداد[٢]. جمع الطبري من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً للقرآن وعارفاً به، بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها، عارفاً بأقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، خبيراً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك[٣].

كتاب الطبري في التاريخ هو أحد الكتب الضخمة والمشهورة في التراث العربي الإسلامي، ويقسم الكتاب من حيث التاريخ إلى قسمين[٤]، الأول كان فيه ما قبل الإسلام، فقد بحث في بداية الخليفة منذ هبوط نبينا آدم عليه السلام، ومن ثم عرضه للأنبياء، وبعدهم الأمم ومن ثم الملوك منذ المسيحية في بلاد الروم، وتاريخ بلاد اليمن، وبعض مشاهير العرب، وبعدها بدأ يمهد إلى عهد الرسالة النبوية، التي كانت في الخصوص في القسم الثاني، وهو بداية التاريخ الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ سنة ٣٠٢هـ وقد فرغ من التأليف في كتابه سنة٣٠٣هـ[٥].

استخدم الطبري في كتابه المنهج الحولي في القسم الثاني، وخاصة كان يستخدم المنهج الموضوعي في القسم الأول من تاريخه. وذلك لبعد الفترة الزمنية التي عايشها، ولكون هذه الحقب الزمنية غامضة فلم يكن اتباع التسلسل الزمني الحولي[٦]، الذي استخدمه في الترتيب على السنين وخاصة في كتابه التاريخ العربي الإسلامي، فكانت الحوادث تجمع في كل سنة وتربط فيما بينها، وإذا انتهت السنة الواحدة انتقل المؤرخ إلى أحداث السنة التالية مستخدماً جملة (ثم دخلت سنة كذا....)[٧].

أما روايات الطبري، فإنه لا يقف عند حد رواية واحدة لحادثة معينة، وإنما يورد مختلف الروايات التي يطمأن إلى صحتها، وصدق أصحابها، ولذا فهو يزود الباحث بمادة متعددة المصادر يستطيع تقويم الروايات المتعددة والمتباينة، وكان يدلي برأيه، ويرجح رواية على أخرى، ونجد في تاريخه عبارات تدلل على موضوع التوجه النقدي فيقول «فيزعمون والله أعلم»، «وزعم بعض العجم»، «وأما النصارى فإنها تزعم»، «هذا القول عندي أولى بالصواب»[٨].

ضم كتاب الطبري بين أوراقه وقائع تاريخية نادرة، ومعلومات قيمة ونصوص وخطب ومعاهدات، وكان من ضمنها في الأحداث التي وردت في عام١٧هـ وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب هي خطط الكوفة[٩]، وهذا ما تناولته في بحثي المتواضع هذا.

المبحث الثاني

الكوفة

١-تأريخها وتسميتها:

إن الكوفة لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها، ولم يسكنها العرب ولا غيرهم، ولم تدل الآثار التاريخية على وجود مستوطن من المستوطنات القديمة، وإنما كان موضعها جزءاً سهلياً من الضفة اليمنى للفرات الأوسط إلى الجهة الشمالية الشرقية من مدينة الحيرة ويدعى (سورستان) من الاسم الفارسي سورستان[١٠]، التي تعني الصحراء، ويدعى كذلك بـ«خد العذراء».

وحينما مصرها العرب، عرفت بالكوفة، فتكوف بها، والتكوف يعني التجمع[١١]، وقيل المواضع المستديرة من الرمل تسمى «كوفاني وبعضهم يسمى الأرض التي فيها الحصباء مع الطين والرمل كوفه»، وعرفت أيضاً بالكوفان وهو أيضاً ما بين الدغل والقصب والخشب[١٢].

ويذكر ياقوت الحموي في معجمه إن عبده بن الطيب وهو من الشعراء القدماء سماها «كوفة نجد»[١٣]. أما صاحب المحيط

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩، ص١.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، دار النشر زاتر شنايز، ط٢، الجزء٢، ريشبادن، ١٩٦٧، ص٢٨٤.

(٣) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد،(٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، الجزء٢، ص٣٦٨.

(٤) المسعودي، أبي الحسن بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت، الجزء، ص٩.

(٥) العزاوي، عبد الرحمن حسين، الطبري، السيرة والتاريخ، دار الشؤون الثقافية، ط١، بغداد، ١٩٨٩، ص١٨٣.

(٦) حسان، حلاق، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، بيروت، ١٩٨٦، ص٢٩٣.

(٧) الطبري، المصدر السابق، الجزء الأول، ص١٩.

(٨) العزاوي، المصدر السابق، ص١٩٥.

(٩) الطبري، المصدر السابق، الجزء الثالث، ص١٤٥.

(١٠) المسعودي، المصدر السابق، ص١٧٦.

(١١) البلاذري، أحمد بن يحيى(ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٧، ص٢٧٧.

(١٢) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل(ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الجزء١١، القاهرة، بلا، ص ٢٢٢.

(١٣) الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج١، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٩٥.

فيقول: «إن الكوفة بالضم تعني (الرملة الحمراء المستديرة أو كل رملة حمراء تخالطها حصباء»[١]. والواقع أن هذا التعريف ينطبق على أرض الكوفة حين تقدم عليها لا تجد في طريق الكوفة غير الرمال الحمر التي تخالطها الحصباء فيحتمل العرب عندما نزلوا فيها فسموها باسمها.

كانت هناك وجهات نظر مختلفة في تسمية الكوفة وقد أجملها ياقوت فيما يلي:

(١) سميت الكوفة لاستدارتها، وذلك من قول العرب، رأيت كوفان، وكوفان بضم الكاف وفتحها، تعني الرملة المستديرة.

(٢) سميت الكوفة لاجتماع الناس فيها من قولهم تكوف الرمل.... يتكوف تكوفاً إذا ركب بعضه بعضاً.

(٣) يقال أخذت الكوفة من الكوفان. وقيل سميت كوفة لأنها قطعة من البلاد في قول العرب[٢].

ويقول لويس ماسينيون إن اسم الكوفة (سرياني) لأنها عرفت عند طائفة السريان تنزل الديارات في أطراف الكوفة عن النجف والحيرة باسم (عاقولا) أو (ياكيولا) وكلمة (عاقولا) تعني بالسريانية حلقة أو دائرة[٣].

وما يفنده الطبري في كتابه بأن كلمة كوفة لم تصل الحد اليقيني كلمة (عاقولا) فيما يبدو منطقة كانت خارج موضع الكوفة من قول الطبري: «كان لعمر أربعة آلاف فرس عدة لسكون إذا كان يشتيها في قبلة قصر الكوفة وميسرته، ومن أجل ذلك يسمى ذلك المكان آلاري اليوم ويربعها فيما بين الفرات والأبيات من الكوفة مما يلي (العاقول) فسمته الأعاجم (آخر الشاهجان) يعنون معلف الأمراء، وكان قيمه عليها سلمان بن ربيعة الباهلي في نفر من أهل الكوفة يضع سوابقها ويجريها في كل عام»[٤]. ومما تقدم يتبين إن كل ما اختلف الرأي في الأصل التاريخي لكلمة كوفة، فإنه اسم عربي وإن موضع العاقول كان خارج منطقة الكوفة طبقاً لنص الطبري السابق.

(٢) تمصير الكوفة:

بعد الفتوحات العربية الإسلامية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، أحس المسلمون بحاجتهم إلى الاستقرار، وبعد المعارك مع الفرس، وضعوا رأيهم بالاستقرار في المدائن عاصمة الدولة الساسانية، ولكن سرعان ما كرهوا الإقامة فيها لعدة أمور:

* **الأمر الأول**: لأن العرب قد فطروا على حب الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء النقي.

* **الأمر الثاني**: كان موضع المدائن وإحاطته بالمياه والمستنقعات جعلها عرضة لانتشار البعوض وأخطار الفيضانات.

* **الأمر الثالث**: وهو سياسي وعسكري يكون قرب المدائن من الحدود مع الدولة الفارسية وبعدها عن مركز الخلافة الإسلامية، مما يجعلهم بالقرب من الفرس.

* **الأمر الرابع**: إن هدف الفتوحات العربية الإسلامية في بادئ الأمر كان السيطرة على الموضع الغربي للفرات الأوسط بالأخص منطقة الحيرة، فيقول الطبري «كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد إذ أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها، وإلى عياض، إذا أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها، ثم يستبقا إلى الحيرة فأيهما أسبق إلى الحيرة فهو أسيد على صاحبه»[٥].

بعد أن سكنوا في المدائن فترة قصيرة، قد بان على وجوه المقاتلين، وأثرت على صحتهم، ولاحظ الخليفة عمر بن الخطاب هذا في أوجه كل من كان يرد عليه من الوفود، فكتب إلى قائده سعد بن أبي وقاص يسأله عن الأسباب فيقول الطبري:

«قال عمر والله ما هيئتكم بالهيئة التي أبدأتم بها، ولقد قدمت وفود القادسية والمدائن، وإنهم لكما أبدأوا ولقد انتكيتم فما غيركم، قالوا وخومة البلاد، فنظر في حوائجهم وعجل سراحهم، وكان في وفود عبد الله بن المعتم، عتبة بن الوعل، وذو القرط وابن ذي السنينة، وابن الحجير، وبشر، فعاقدوا عمر على بني تغلب، فعقد لهم على من أسلم منهم فله ما للمسلمين وعليه وما عليهم، ومن أبي فعليه الجزاء، وإنما الأحبار من العرب على من كان في الجزيرة.... فهاجر هؤلاء التغلبيون ومن أطاعهم إلى سعد في المدائن، وخطوا معه بعد الكوفة وأقام من قام في بلاده على ما أخذوا لهم على عمر مسلمهم وذميهم»[٦].

ورواية أخرى يقول فيها:

«كتب عمر إلى سعد، أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم، فكتب إليه أن العرب خدرهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة، فكتب إليه أن العرب لا يوافقها إلا ما وافق أبلها من البلدان فابعث سلمان رائداً، وحذيفة، وكانا رائدي في الجيش فيرتادا منزلاً برياً وبحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر، ولم يكفي عن أمر الجيش شيء، إلا وقد أسنده إلى رجل فبعث سعد، حذيفة وسلمان فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة وخرج حذيفة في شرقي الفرات لا يرضى حتى الكوفة، والكوفة

(١) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر(ت٨١٧هـ)، قاموس المحيط، الجزء٣، القاهرة، ١٣٤٤هـ ص١٩٣.

(٢) الحموي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٥.

(٣) ماسينيون، لويس، خطط الكوفة، ترجمة تقي المصعبي، صيدا، بيروت، ١٩٣٩، ص٢٥.

(٤) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٥.

(٥) الطبري، المصدر السابق، حوادث سنة١٢هـ

(٦) الطبري، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٥.

على حصباء وكل رملة حمراء يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة، فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة «دير حرقة»، و«دير أم عمرو»، و«دير سلسلة» وخصاه خلال ذلك، فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا وقال كل واحد منهم اللهم رب السماء وما أظلت، ورب الأرض وما أقلت، والريح وما ذرت، والنجوم وما هوت، والبحار وما جرت، والشياطين وما أضلت، والخصاص وما أجنت، بارك لنا في هذه الكوفة واجعله منزل ثبات وكتب إلى سعد بالخبر»[١].

وفي رواية أخرى يقول: «لما اجتوى المسلمون المدائن بعدما أنزلها وآذاهم الغبار والذباب وكتب إلى

سعد في بعثه رودا يرتادون منزلاً بريا وبحرياً فإن العرب لا يصلحها من البلدان إلا ما أصلح البعير والشاة، سأل من قبله عن هذه الصفة فيما بينهم فأشار عليه من رأى العراق من وجوه العرب، باللسان، وظهر الكوفة يقال له اللسان وهو فيما بين النهرين إلى العين عين بني الحذاء وكانت العرب تقول ادلع البر لسانه في الريف، فما كان يلي الفرات منه فهو الملطاط وما كان يلي الطي منه فهو البخاف فكتب إلى سعد يأمره به»[٢]فكتب الخليفة إلى سعد بالتحول من المدائن، اختار سعد الأنبار لينزلها، ولأسباب صحية وعسكرية وإدارية ترك الأنبار، ولم ينزل الحيرة لغلبة النصرانية على أهلها من جهة ولقربها من منطقة الأهوار والمستنقعات النسبية بالفيضانات من نهر الفرات وبحر النجف من جهة أخرى[٣]، فابتعد بضعة أميال واختط الكوفة وكتب إلى عمر يقول الطبري: «إني نزلت الكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات بريا وبحرياً ينبت الحلى والنصيى وخيرت المسلمين بالمدائن فمن أعجب المقام تركته فيها كالمسلحة فبقي أقوام من الأقناء وأكثرهم بنو عبس»[٤].

فأقر الخليفة عمر بن الخطاب الاختيار، وبدأ الجيش العربي الإسلامي يقيم أول معسكراته في محرم سنة ١٧هـ[٥]. أما سبب تمصير الكوفة على حدود الصحراء بالذات، هو أن تكون في موقع وسط هام يؤمن السيطرة الكاملة على المنطقة في غرب وشرق الفرات، ويقول الطبري: «سبب تمصيرها أن تكون قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق ودار هجرة للقسم الأوسط وعاصمة بالمسلمين بدل المدائن»[٦].

ويرى (برناد لويس) إن العرب اختطوا مدنهم في أطراف الصحراء لأن هذه المدن أشبه بلواء من ألوية الجيش وإنها المنافذ والثغور في الصحراء[٧].

المبحث الثالث

تخطيط الكوفة

إن تخطيط مدينة الكوفة الفعلي بدأ سنة ١٧هـ أي بعد انتقال سعد بن أبي وقاص من المدائن عاصمة الدولة الساسانية إلى موقع تخطيط مدينة الكوفة[٨]، وذكر الطبري أن سعداً انتقل إليها ليتخذها دار جهاد وهجرة للمسلمين[٩]، ومعنى هذا أن الدافع الحربي لم يكن قد خمد في النفس العربي بل أنهم ظلوا على استعداد لمواصلة الجهاد لنشر الدعوة في بقية الأمصار الفارسية القديمة التي لم تكن قد وصلت إليها الدعوة.

عندما اتجه سعد إلى موضع المدينة لتخطيطها، اتجه أولاً إلى اختيار موضع للمسجد الجامع بها ودار للإمارة متصلة به وبيت للمال، وجميعها تؤلف قسماً من أقسام هذه المدينة له كيانه الخاص المستقل به، ثم حدد المخططون بعد ذلك الطرق والمناهج والسكك، والدور والمحلات والأسواق والمساجد ومسجد السهلة والجبانات ومقبرة جماعية لأهل الكوفة سميت (ثوية الكوفة)[١٠]، ومن الذين أشرفوا على التخطيط بإذن الخليفة عمر بن الخطاب فيقول الطبري: «كتب عمر على تنزيل أهل الكوفة، أبو الهياج بن مالك وعلى تنزيل أهل البصرة، عاصم بن الدلف أبو الحرباء»[١١].

ويقول الطبري عن بداية التخطيط في الكوفة، كان من القصب كما يبين أن اعتماد التخطيط يشابه تخطيط مدينة الكوفة وفيه الاتفاق أكثر من الاختلاف وكانت البصرة قد مصرت قبل عامين، أي يعني كلاهما في زمن وعصر واحد، فيقول الطبري في روايته: «قالوا لما نزل سعد الكوفة، واستقروا أهل الكوفة واستقرت بأهل البصرة الدار عرف أنفسهم وثاب إليهم ما كانوا فقدوا، ثم إن أهل الكوفة استأذنوا في بنيان القصب، واستأذن فيه أهل البصرة، فقال عمر: العسكر أجد لحربكم وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم وما القصب قالوا (العكرش) إذا روى قصب فصار قصباً قال: فشأنكم فابتنى أهل المصرين بالقصب، ثم إن الحريق وقع بالكوفة والبصرة، وكان أشدهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤٦.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٦.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب(ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، الجزء٢، النجف، ١٣٥٨، ص١٢٧.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٦.
(٧) الجنابي، د. كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، مطابع دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٧، ص٢٧.
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٧٤.
(٩) الطبري، حوادث سنة١٤هـ
(١٠) الحكيم، د. حسن عيسى، محاضرات في مادة تخطيط مدن إسلامية، ألقيت على طلبة الدراسات العليا-ماجستير، كلية الآداب، ٢٠٠١/٣/١٩.
(١١) الطبري، حوادث سنة١٧هـ

عريشاً ولم يبقى فيها قصبة في شوال، فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم تقرأ إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن فقدموا عليه بالخبر عن الحريق وما بلغ منهم وكانوا لا يدعمون شيئاً ولا يأتونه إلا وأو امروه فيه فقال: افعلوا ولا يزيدن أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطالوا البنيان وألزموا السنة تلزمكم الدولة، فرجع القوم إلى الكوفة... وعهد عمر إلى الوفد ومقدم إلى الناس أن لا يرفعوا فوق القدر قالوا وما القدر قال مالا يقربكم من السرف ولا يخرجكم من القصد»[١].

(١) المسجد:

ولما انتهى الأمر كله أنشأ المخططون يقطعون القطائع والدور للصحابة والجند ويقول اليعقوبي «إن كل قبيلة اختطت المكان الذي خصص لها»[٢]. ونجد أن أول شيء اختط في الكوفة هو المسجد الجامع وكان اختياره واختطاطه في موضع وسط من المدينة، وكان لا يبعد عن الفرات إلا بمقدار كيلومتر ونصف، ومما يؤسف له أن لم يعرض لتخطيط مسجد الكوفة من المؤرخين سوى البلاذري[٣] رواية عن تخطيطه، وكشف لنا الطبري عن الطريقة التي تم بها بناء هذا المسجد، وهذا ما أتطرق إليه.

فيقول الطبري عن الطريقة التي تم بها بناء مسجد الكوفة فيقول: «أول شيء خط بالكوفة وبني حين عزموا على البناء، المسجد ثم قام رجل في وسطه رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين، فترك المسجد في مربعة، علوه من كل جوانبه، وبنى ظلة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مؤخرة والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا وكذلك كانت المساجد ماخلا المسجد الحرام فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته وكانت ظلته مائتي ذراع على أساطين رخام.... وعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان...)[٤].

ويدل من النص على أن المسجد حين خط لم يكن له سور يحميه حتى أن المجالس فيه كان يرى من يمر بجواره، وإن المجالس في مسجد الكوفة يرى دير الهند على الخندق وهذا ما يؤكد أنه غير مسورة[٥]. أما المساحة التي كان يشغلها مسجد الكوفة عند تخطيطه الأول فإن الطبري لم يذكر شيئاً عنه.

(٢) دار الإمارة:

أما دار الإمارة فإنها خطت في موضع الفضاء والمتصل بالمسجد من جهة القبلة ويقول الطبري: «وبنى سعد في الذي خطوا للقصر قصراً بحيال المحراب مسجد الكوفة فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته»[٦]، وكتب سعد بذلك إلى الخليفة عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار، فكتب إليه عمر «إن أنقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لمالهم» «فنقل المسجد وأراغ بنيانه، فقال دهقان من أهل همذان يقال له (روزبه بن بزرجمهر): أنا أبنيه لك وأبني لك قصراً فأصلهما ويكون بنياناً واحداً، فخط قصر الكوفة على ما خط عليه»[٧].

لا شك أنه لم يكن غريباً أن تختفي معالم دار الإمارة وتندثر كغيرها من المباني القديمة في الكوفة، وكان اختفاؤها أما بفعل عوادي الزمن أو بما درج عليه الناس في هدم المباني المهجورة واستعمال آجرها اقتصاداً أو لمجرد الرغبة في تحطيمها، وقد شاهد الرحالة ابن بطوطة الذي زار الكوفة سنة ٧٢٦هـ خرائب دار الإمارة ويقول: «أما دار الإمارة الذي بناه سعد بن أبي وقاص فلم يبقى منه إلا أساسه»[٨].

بعد أن بدأ العمران في الكوفة، حتى توافد عليها الناس من كل صوب، وكان أو الوافدين إليها بعد العرب، الفرس وكان عددهم أربعة آلاف فارسي كانوا يعملون بالجيش الفارسي، وبعدهم نزلوا الكوفة «السريان» وهم الذين كانوا يسكنون الديارات في أطراف الحيرة والنجف، فيقول ماسينيون «وكان في الكوفة اسقفان أحدهما نسطوري والآخر يعقوبي، والنساطرة هم الحضر واليعاقبة هم البدو»[٩].

وأما بعد السريان نزلوا على الكوفة من نجران اليمن منهم اليهود والنصارى وكان أغلبهم صيارفة قاموا بالكوفة في محلة عرفت (النجرانية)[١٠].

(٣) المناهج:

أ- المناهج الرئيسية

أما مناهج الكوفة فإن الطبري يحدثنا أن الخليفة عمر بن الخطاب أرسل إلى سعد بن أبي وقاص بياناً كافياً عما تنبغي أن تكون سكك الكوفة وطرقها وأزقتها حينما شرع في تخطيط المدينة، فأمر أن يكون «المنهج»[١١] الواحد أربعين ذراعاً وما

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٨.
(٢) اليعقوبي، المصدر السابق، ص٩٦.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٧٥.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٨.
(٥) الحكيم، المصدر السابق.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٧) المصدر نفسه.
(٨) ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله(٧١٧هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، الجزء١، القاهرة ١٩٣٨، ص١٣٨.
(٩) ماسينيون، المصدر السابق، ص٢٥.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٦٦.
(١١) المناهج: جمع منهج، ويعني الحد الفاصل بين صفوف الخيام الواقعة في خطط القبائل.

بين ذلك عشرين ذراعاً، وقد التزم المشرفون على التخطيط هذا البيان الذي بعث به عمر، ثم نزلت كل قبيلة في الموضع الذي خصص لها، فنزل أهل اليمن في الجانب الشرقي من المسجد، ونزلت نزار في الجانب الغربي منه، وإن الجانب الشرقي خير مواضع الكوفة لأنه يقع بين الفرات والمسجد، فكان اختيار أهل اليمن في الجانب الشرقي لأنهم الأكثر عدد من نزار[١].

أما عدد المناهج فكانت خمسة عشر منهجاً وأما توزيعاً كما يروي الطبري كما يلي:

* **أولاً**: في ودعة الصحن (شمال المسجد) خمسة مناهج (١، ٢، ٣، ٤، ٥).
* **ثانياً**: في قبلة الصحن (جنوب المسجد) أربعة مناهج (٦، ٧، ٨، ٩).
* **ثالثاً**: في شرقي الصحن (شرق المسجد) ثلاثة مناهج (١٠، ١١، ١٢).
* **رابعاً**: في غربي الصحن (غرب المسجد) ثلاثة مناهج (١٣، ١٤، ١٥)[٢].
* **أولاً**: في شمال المسجد خصص المنهج (١، ٢) لقبيلتي (سليم وثقيف)، والمنهج (٣) (لهمذان)، والمنهج (٤) لـ(بجيلة)، والمنهج (٥) لـ(تميم اللات وتغلب).
* **ثانياً**: جنوب المسجد، خصص المنهج (٦) لـ(بني أسد)، والمنهج (٧) قسم بين (أسد والنخع)، والمنهج (٨) (للنخع وكنده)، والمنهج (٩) بين (كنده والأزد).
* **ثالثاً**: في شرق المسجد، خصص المنهج (١٠) (الانصار ومزينة)، والمنهج (١١) لـ(تميم ومحارب)، والمنهج (١٢) لـ(أسد وعامر).
* **رابعاً**: في غرب المسجد، خصص المنهج (١٣) لـ(بجالة وبجيلة)، والمنهج (١٤) لـ(جديلة واللفيف). والمنهج (١٥) لـ(جهينة واللفيف)[٣].

ب- المناهج الفرعية

وقد خصص المشرفون على التخطيط مناهج فرعية دون الأولى في الذرع ولكنها تلاقيها في أطراف مختلفة، وقد خطت وراء الصحن للمسجد نزول المحاربين والقواد حين عودتهم من الفتوح فيقول الطبري: «وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن يوافون إليها... فلما دلفتهم الروادف وكثروا عليهم، ضيق الناس المحال، فمن كان رادمته كثيرة شخص إليهم وترك محلته، ومن كان رادمته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلته إذا كانوا جبرانهم وإلا وسعوا على روادفهم وضيقوا على أنفسهم»[٤].

وفي نص آخر يذكر الطبري أن هذه المناهج قد أصابها التعديل إذ يقول: «ولما رجع الأعشار كتب سعد إلى عمر في تعديلهم وتقسيمهم وتوزيعهم، فكتب عمر: «أن عدلهم» فأرسل سعد إلى قوم من نساب العرب وذوي رأيهم وعقلائهم، منهم سعيد بن نمران ومثلبة بن نعيم فعدلوهم على الأسباع فجعلوها أسباعاً»[٥].

وكان ترتيبها بعد التعديل على النحو الآتي:

١- صارت كنانة وحلفائها من الأجايش سبعاً.
٢- قضاعة وعسان وبجيلة وخثعم وكنده وحضرموت والأزد سبعاً.
٣- ومذحج وحمير وهمدان سبعاً.
٤- وتميم وسائر الرباب وهوزان سبعاً.
٥- وصارت أياد وعك وعبد القيس وأهل الهجر والحمراء سبعاً.
٦- وأسد وغطفان ومحارب سبعاً[٦].

ويبدو أن هذه التقسيمات لم يطرأ عليها تغيراً، ولكن حينما قدم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الكوفة بعد يوم الجمل سنة٣٦هـ غير نظام الأسباع وعقد الرايات وعباها على الترتيب التالي:

١- عقد لحمير وهمدان راية، وولى عليهم سعيد بن قيس الهمداني.
٢- عقد لمذحج والأشعريين راية، وولى عليهم زياد بن النظر الحارثي.
٣- عقد لقيس وعبس وذبيان راية، وولى عليهم سعد بن مسعود ابن عمر الثقفي عم المختار بن أبي عبد الله.
٤- عقد لكندة وحضرموت وقضاعة ومهرة راية، وولى عليهم حجر بن عدي الكندي.
٥- عقد لبكر وتغلب وبقية بطون ربيعة راية، وولى عليهم مجدوح الذهلي.
٦- عقد للازد وبجيلة وخثعم وخزاعة راية، وولى عليهم مخنف ابن سليم الأزدي.
٧- عقد لسائر قريش والأنصار وغيرهم من أهل الحجاز وولى عليهم عبد الله عباس[٧].

وأما في العصر الأموي وفي إمارة سنة ٥٠هـ فقد صارت الأسباع في الكوفة أربعة وعلى النحو الآتي:

(١) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٢) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٧) الطبري، حوادث سنة٣٦هـ ص٥٣٤.

١- أهل المدينة، وكان عليهم عمرو بن حريث.
٢- تميم وهمدان وعليهم خالد بن عرفطة.
٣- كندة وربيعة، وعليهم قيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة[١].
٤- مذحج وأسد وعليهم أبو بردة بن أبي موسى. وظل هذا النظام حتى آخر أيام الكوفة.

(٤) السكك:

أما السكك فقد روعي في تخطيطها وتنظيمها، بحيث جعل المشرفون على التخطيط عرض السكة الواحدة خمسين ذراعاً من أذرع اليد، وكانت تتخللها بعض الأزقة والدروب، وتتردد بعض أسماء هذه السكك في بعض النصوص التاريخية، منها سكة «شبث» وكانت في منازل تميم، وسكة «الملاء بن محرز» وكانت في منازل قريش، وسكة «دار الروميين» وكانت هذه السكة بالقرب من قصر الإمارة، وسكة «التويني»، وسكة «عميرة» في منازل كندة، وسكة «لحام بن جرير» وسكة «بن جذيمة بن مالك» من أسد[٢].

أما في العصر الأموي فقد اشتهرت الكوفة بأسماء بعض السكك منها سكة البريد وكانت هذه السكة ما بين الجسر عند منازل بني سليم ولكناسه[٣]، وكانت بعض هذه السكك تنار أثناء الليل بالمشاعل، أما الدروب التي عرفت في الكوفة أيضاً فهي (دروب الروميين) و(زقاق البصريين) وكان هذا الزقاق بالقرب من سكة بني جذيمة، ويبدو أنه كان يطلق على بعض السكك أحياناً أسماء بعض التجار مثل (عنترة الحجام)[٤]. ولما دخل أهل خراسان الكوفة في سنة١٣٢، أصبحت تطلق بصورة مستعجمة، وعرفت أسماء بعض مفارق الطرق الفارسية وكذلك الساحات. كانت تسمى بالصحراء[٥].

(٥) الدور والمحلات:

أما الدور فقد خطت حول المسجد وكانت على ما يبدو مساكن للصحابة والوجوه. «فقد اختطوا الدور حول المسجد كما اختط سلمان بن ربيعة الباهلي والمسبب بن نجبه الفزاري وناس من قيس حيال دار بن مسعود»[٦].

أما أهم الدور التي أنشأت في الكوفة بعد دار الإمارة فكانت «دار الرزق»[٧] وكذلك من أهم الدور «دار الروميين»، كانت هذه الدار مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات والكسامات[٨] «ودار حكيم» نسبت إلى حكيم بن سعد بن ثور البكاي، ودار «قماقم بنت الحارث بن هاني الكندي»، «دار الأشعث بن قيس»، «دار حجير» نسبت إلى حجير بن الجعد الجمحي، و«دار المقطع» نسبت إلى المقطع بن سنين الكلبي و«دار أسامة»، و«دار جرير»، و«دار الحارث بن أبي ربيعة»، و«دار خالد بن عرفطة»، و«دار سعيد بن جبير»[٩]، و«دار سعيد بن قيس»[١٠] و«دار السقايا»[١١]، و«دار مسلم بن المسير»[١٢]، و«دار أبي موسى»[١٣]، و«دار ابن هبار»[١٤]، و«دار الوليد بن عقبة بن معيط»[١٥].

أما المحلات التي عرفت في الكوفة فهي محلة بني شيطان بن زهير بن شهاب بن تميم، ومحلة (الكناسة)، وكانت في أول أمرها لرمي الأنقاض، وكان موضعها عند مخرج الكوفة من ناحية الغرب، وبعد إعمارها أصبحت مركزاً تجارياً مهماً وقد سكنت الكناسة عدة قبائل، هي: عبس وتميم، وكان فيها بعض المساجد، ولما انحطت الكوفة انحطت الكناسة أيضاً وأصبحت منعزلة[١٦].

(٦) الأسواق:

أصبحت هذه المدينة ملتقى هذه الطوائف المختلفة من العرب وفيهم المحاربون وأهل الفقه والدارسون للغة والأدب، كان من الطبيعي أن تخط فيها بعض الأسواق تنظيماً للحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، ولتحقيق الحياة والعيش. إن الأسواق خطت من القصر والمسجد إلى الوليد بن عقبة من جهة وإلى القلائين من جهة أخرى وإلى منازل ثقيف وأشجع من جهة أخرى[١٧]، ويحتمل أن تكون موضع السوق في الجهة الشرقية أن المسجد بالقرب من دار الإمارة بدليل أن سعداً أغلق باب الدار من جهة السوق حتى لا يتسرب إليه ضجيج القاصدين إليه، كما يذكره الطبري: «أغلق باب القصر وكانت الأسواق في موضعه بين يديه فكانت غوغائهم تمنع سعدا الحديث فلما بنى ادعى الناس عليه ما لم يقل وقالوا قال سعد «سكن عني التصويت»[١٨].

(١) الطبري، حوادث سنة ٥١هـ ص١٩٢.
(٢) الطبري، حوادث سنة ٦١هـ ص٥٠٢.
(٣) الطبري، حوادث سنة ٦٦هـ
(٤) الطبري، حوادث سنة ٦٧هـ
(٥) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٨١.
(٦) اليعقوبي، المصدر السابق، ص٧٠.
(٧) الطبري، حوادث سنة١٣هـ
(٨) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٨٠.
(٩) الطبري، حوادث سنة٦٦هـ
(١٠) الطبري، حوادث سنة ٩٤هـ
(١١) الطبري، حوادث سنة٦٦هـ
(١٢) الطبري، حوادث سنة٦٧هـ
(١٣) الطبري، حوادث سنة٦٠هـ
(١٤) الطبري، حوادث سنة٦٦هـ
(١٥) الطبري، حوادث سنة٦٦هـ
(١٦) الحموي، المصدر السابق، ج٧، ص٢٩٧.
(١٧) اليعقوبي، المصدر السابق، ص٧١.
(١٨) الطبري، حوادث سنة ١٧هـ ص١٤٩.

كانت الأسواق في بادئ الأمر أرضاً فضاء لا نبات فيها ولا سقوف سوى ظلال (بواري) من الحصير كان يضعها الباعة لتظللهم في الأماكن التي يختارونها للبيع والشراء، وكان نظام الأسواق على سنة المساجد فمن سبق إلى موضع فهو له حتى يفرغ منه كما يقول الطبري: «الأسواق على قلة المساجد فمن سبق إلى مقعده فهو له حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه»[١].

ظلت الأسواق على حالتها تلك حتى ولاية خالد بن عبد الله القسري في العصر الأموي، فقد كان أول من بنى الأسواق في الكوفة بناءً محكماً، يقول البلاذري: «وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها أزاجاً معقودة بالآجر والجص»[٢]. تلك هي النسوق العامة وهناك أسواق أخرى تعرض فيها أشياء خاصة كسوق الصيارفة وكانت عند مسجد بني جذيمة، وكان بين حوانيت هذه الأسواق ديوان للمحتسب وقد ذكر الطبري أن «نصر بن مزاحم» كان من الذين تولوا منصب محتسب في أسواق الكوفة[٣].

(٧) المساجد:

لم يقتصر التخطيط على المسجد الجامع وحده، بل خطت مساجد أخرى صغيرة للقبائل حسب مواضعها وبذلك أصبحت كل خطة من الخطط تشتمل على مسجد وجبانه (مقبرة) لدفن الموتى ومن أسماء المساجد القبلية: (مسجد سماك بن مخرمة الأسدي)، و(مسجد بني جذيمة)، و(مسجد بني القاصف بن ذكوان)، و(مسجد بني بهدله بن المثل بن معاوية من كندة)، و(مسجد عبد القيس)، و(مسجد السكون)، و(مسجد أحمس)، و(مسجد بني فرن ابن أود من مذحج)، و(مسجد بني مرة بن ومن كندة)، و(مسجد بني مقاصف)، و(مسجد فزارة)، و(مسجد بني عدي)، و(مسجد الأشعث)، و(مسجد الأنصار)، و(مسجد جهينة)، و(مسجد أبي داود)، و(مسجد بني دهمان)، و(مسجد بني ذهل)، و(مسجد السكون)، و(مسجد شبث)، و(مسجد عدي بن حاتم)، و(مسجد مخزوم)، و(مسجد بني العادل)، و(مسجد بني هلال)، و(مسجد ثقيف)، و(مسجد الحمراء)، و(مسجد السهلة)[٤].

وقد تهدمت جميع المساجد القبلية في الكوفة ما عدا مسجد السهلة الذي ما زال مائلاً ليومنا هذا.

وأما الثوية فهي أقدم جبانه وأهمها وهي (لثقيف وقريش) وهي خارج حدود المدينة[٥].

(١) المصدر السابق، ص١٤٩.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٨٤.
(٣) الطبري، المصدر السابق، ص١٤٩.
(٤) الطري، المجلد٢، ص(٧٣٤، ٩٨، ٦٨٧، ٦٥٦، ٦٥٧، ٧٠٣، ٢٨٤، ٧٣٤، ٦٥٦، ٦٧، ٥٣٤، ٦١٧، ٦٢٢، ١٣٠).
(٥) البراقي، السيد حسين السيد أحمد(ت ١٣٣٢)، تاريخ الكوفة، النجف، ١٣٥٦هـ ص١٢.

(٨) مسجد السهلة:

يعتبر من أكبر المساجد وأوسعها في مدينة الكوفة، يقع بظاهر الكوفة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد الجامع، على بعد كيلومترين تقريباً، في أرض فضاء خالية من العمران والسكن والأرض من حوله رمال صحراء، فيقول الطبري في صدد كلمة كوفة «كل رملة حمراء يقال لها سهلة وكل حصباء ورمل هكذا مختلطين فهو كوفة» ومن هذا ربما يرجع تسمية المسجد بهذا الاسم[٦].

لا يمكن تحديد تاريخ المسجد لاختفاء العلامات والآثار المميزة للعصور المختلفة[٧]. إلا أنه أن صح القول يكون مسجد السهلة قد شيد في عهد الكوفة الأول أي قبل مجيء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام سنة٣٦هـ أو أثناء إقامته بالكوفة[٨].

(٩) الجبانات:

اختطت لكل قبيلة جبانة أو مقبرة خاصة لها والقصد منها هو المحافظة على سلسلة النسب وتذكير الأبناء بمحبة الآباء وما قدموه من عمل في سبيل الدعوة الإسلامية وردت أسمائها في الطبري: «جبانة كنده كانت لربيعه وكندة»[٩].

وقد شملت بعض الأحياء القبلية بعد تخطيطها على بيع وأديرة لأهل الذمة الذين كانو يعيشون في الدولة الإسلامية، وذلك ليتمكن من أداء شعائرهم الدينية تحت كفالة الدولة، وقد وردت أسماء بعض الأديرة منها «دير الأعور» و«يرقرة»[١٠]. وقد كانت تتخلل هذه الخطط بعض الحمامات التي كان يقصدها الناس منها «حمام أعين» نسب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص و«حمام عمر» و«حمام قطن بن عبد الله»[١١].

لما ولى أمر الدولة أبو جعفر المنصور بقيت هذه المدينة تحت عنايته ما بقيت فحفر لها خندقاً وبنى لها سوراً، يقول الطبري: «خندق أبو جعفر على الكوفة والبصرة وضرب عليهما سوراً وجعل ما أنفق على سور ذلك وخندقه من أموال أهله»[١٢]. ويذكر ابن الأثير أن ثغور الكوفة كانت أربعة وهي (حلوان)، و(ماسيندان)، و(قرقيسياء)، و(الموصل)[١٣].

(٦) الطبري، المصدر السابق، ص١٥٠.
(٧) الجنابي، المصدر السابق، ص٩٠.
(٨) البرقي، المصدر السابق، ص١١٧.
(٩) الطبري، المصدر السابق، ج٢، ص٦٥١.
(١٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٢٨٤.
(١١) الطبري، المصدر السابق، ص٦٤٩.
(١٢) الطبري، حوادث سنة ١٣١هـ
(١٣) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم،(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، الجزء الثاني، ١٩٨٠، ص٢٠٥.

الفصل الثاني

المبحث الأول

الكوفة.... تمصيرها.... وخططها

لم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تمصيرها وإنما كانت أرضاً خالية من السكان حيث كان بينها وبين النهر لسان من الرمل يقترب عمودياً من الفرات يسمى الملطاط[١]، (وكان يقال لظهر الكوفة اللسان وما ولي الفرات منه اللطاط)[٢]، والكوفة المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خذ العذراء وقد ذكر المؤرخون عدة تسميات للكوفة[٣]، فقد سميت الكوفة كوفاناً بضم الكاف وهو ما يطلق على الرميلة المستديرة، وقيل سميت كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم قد تكوف الرمل إذا ركب بعضه بعضاً، وقد ذهب جماعة إلى أنها سميت كوفة لموضعها من الأرض حيث إن كل رملة يخالطها حصباء وتسمى كوفة، ويقال أيضاً إنها سميت بالكوفة لأن سعداً لما افتتح القادسية ونزل المسلمون الأنبار، فآذاهم البق، فخرج فارتاد لهم موضع الكوفة وقال تكوفوا في هذا الموضع أي اجتمعوا والتكوف يعني التجمع وقيل أيضاً إنها سميت كوفة نسبة إلى جبل صغير كان فيها يسمى كوفان، وقيل أيضاً سميت نسبة إلى جبل (ساتيدما) المحيط بها كالكفافة عليها، وقال محمد بن سهل سميت الكوفة لأن جبل (ساتيدما) محيط بها كالكفافة عليها[٤].

وكان تأسيس الكوفة إحدى الضرورات الحربية التي فرضتها دواعي الفتح العربي الإسلامي لبلاد فارس على عهد الخليفة عمر، فبعد اندفاع الجيش بقيادة سعد بن أبي وقاص بعد فتوح السواد الفاصلة إلى بلاد فارس طالت خطوط المواصلات بين المدينة المنورة وميادين القتال فكان لابد للجيش المحارب أن يتخذ نقطة ارتكاز له ليستريح عندها من عناء السفر والحرب لتكون معسكراً ثابتاً قريباً من ميادين القتال[٥]، إضافة إلى ميزة وقوعها على حافة الصحراء لا يفصل بينها وبين العاصمة ماء أو جسر[٦]، ولم يكن هذا العامل هو العامل الوحيد في إرساء الأساس لهذه المدينة وإنما كان هنالك العديد من العوامل التي تظافرت وأدت بالتالي إلى نشوء الكوفة أو غيرها من المدن العربية الإسلامية وأهم هذه العوامل[٧]:

١-**العامل الاقتصادي**: وذلك لتوفر المادة الأولية للبناء وكلفة نقلها القليلة وذلك ما يجعلها عملية غير مكلفة ساعدت على بناء تلك المدن.

٢-**العامل الجغرافي**: فقد أوصى الخليفة عمر قواده عند بناءهم للمدن أن تبنى بين حجر ومدر لتكون قريبة من حافات الصحراء على طرق القوافل وقريبة من مصادر الماء حيث الزراعة وخيراتها الوفيرة إضافة إلى الأثر البيئي والمناخ الذي يلائم المسلمين، لذلك كتب الخليفة عمر بن الخطاب إلى سعد ليرتاد منزلاً لا برياً ولا بحرياً وليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر[٨].

وأضاف «إن العرب بمنزلة الإبل لا يصلحها إلا ما يصلح الإبل فأرتد لهم موضعاً عدتاً ولا تجعل بيني وبينكم بحراً»[٩].

٣-**العامل الحربي (العسكري)**: إن المدن تلك بنيت أساساً لتكون مدناً عسكرية ونستدل على ذلك من أمر الخليفة عمر لقائده سعد أن (يتخذ للمسلمين دار هجرة وقيروانا)[١٠]، والقيروان تعني العسكر، فوجود المدن على حافة الصحراء تسهل عمليات النقل ووصول الإمدادات من حاضرة الدولة العربية الإسلامية (المدينة المنورة)[١١].

٤-**العامل الاجتماعي**: إن نشأة أي مدينة يجب أن تكون بجوار مدن آهلة بالسكان أي حضرية، لتسهيل تحويل سكان المناطق الحضرية تلك إلى الإسلام خاصة ونحن نعرف إن الوثنية والمسيحية والمجوسية هي التي كانت سائدة آنذاك.

٥-**العامل الفكري**: إن المدن هذه كانت قريبة من مراكز علمية مهمة وهو ما يؤدي بالتالي إلى عملية الاختلاط العلمي وقد لعبت المراكز العلمية القريبة من هذه المدن دوراً في نمو الحركة الفكرية في هذه المدن.

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري(ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٧، ص٣٧٧.

(٢) شهاب الدين ياقوت بن أبي عبد الله الحموي(ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا ١٩٢/٥.

(٣) ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني(ت ٣٤٠هـ)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٨٥، ص٦٣، الحموي، المعجم، ٤٩٠/٤.

(٤) أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري(ت ٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفا السقا، ط١، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٩، ١١٤٦/٤-١١٤٢.

(٥) مصطفى عباس الموسوي، العوامل التأريخية لنشأة المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢، ص٨٢، يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢١-٢٣.

(٦) عبد الرحمن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تأريخ الغبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٥٩، ٣٢١/٣.

(٧) حسن عيسى الحكيم، محاضرات في مادة(تخطيط مدن إسلامية) ألقيت على طلبة الدراسات العليا-الماجستير بكلية الآداب بجامعة الكوفة، قسم التأريخ في ٢٠٠١/٤/٧.

(٨) ابن الأثير محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد(ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ٣٦٨/٢.

(٩) البلاذري، ٢٧٦.

(١٠) المصدر نفسه، ٢٧٤.

(١١) الحكيم، المصدر السابق.

٦-**البعد الحضاري**: إن العامل الفكري أدى إلى حدوث احتكاك حضاري نتيجة اقتراح سكان هذه المدن مع سكان المدن القريبة والتي كانت مدناً ذات حضارات عريقة.

بناء الكوفة:

أما أتم سعد بن أبي وقاص فتح العراق كتب له الخليفة عمر يأمره بالنزول في الموضع الذي وصفه له، وقد بدأ لسعد أول الأمر إن عمراً قصد المدائن في أمره في إقامة معسكر الجيش الإسلامي، ولكن على ما يبدو إن جو المنطقة الرطب لا يلائم العرب المتعودين على جو الصحراء الحار والجاف[١]، فتغيرت ألوانهم وضعفت أجسامهم وشكوا أحوالهم إلى الخليفة عمر[٢]، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس لا برياً ولا بحرياً ليس بينه وبينهم بحر ولا جسر فبعث سعد بناءً على أمر الخليفة سلمان وحذيفة رائدين فسار سلمان غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة، وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة، وسار حذيفة شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى وصل الكوفة فأعجبتهما البقعة منزلاً فصليا ودعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات فرجعا إلى سعد بالخبر، واتحل سعد بالناس من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة١٧هـ وكان بين نزوله الكوفة ووقعة القادسية سنة وشهران[٣]، ولما انتهى إلى موضع مسجدها رمى بسهم قبل مهب القبلة وعلم موقعه ثم غلا بسهم قبل مهب الشمال وعلم موقعه ثم علم دار إمارتها ومسجدها في مقام الحالي وفيما حوله[٤].

خطط الكوفة:

ثم اختطت كل قبيلة مع رئيسها، ثم أقطع أصحاب رسول الله ﷺ فكانت عبس إلى جوار المسجد ثم تحول قوم منهم إلى أقصى الكوفة، واختط أصحاب رسول الله ﷺ مثل عبد الله بن مسعود وطلحة بين عبيد الله وعمرو بن حريث وجبير بن مطعم وغيرهم الدور حول المسجد وأقطع الخليفة عمر سعد بن أبي وقاص الدار التي تعرف بدار عمر بن سعد[٥]، ولم تكن الكوفة أول أمرها سوى أكوام وكتل من الخصائص (الأكواخ الخشبية) والخيام التي نصبت بصورة مؤقتة عند تمصيرها سنة ١٧هـ[٦]، وعندما وقع الحريق في الكوفة في شوال بعث سعد نفراً إلى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن، فوافق على أن لا يزيد أحدهم على ثلاثة أبيات وقدر المناهج أربعين ذراعاً وما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سبعة أذرع والقطائع ستين ذراعاً، وأول شيء خط فيها وبني مسجدها وبنى ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد بنيانه[٧].

ويصف ابن جبير الجامع بأنه آخر المدينة مما يلي شرقي البلد ولا عمارة تتصل به من جهة الشرق وهو جامع كبير في الجانب القبلي منه خمسة أبلطة وفي سائر الجوانب بلاطان وهذه البلاطات على أعمدة من السواري الموضوعة من صم الحجارة المنحوتة قطعة مفرغة بالرصاص، ولا نهي عليها وهي في نهاية الطول متصلة بسقف المسجد فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى سقفاً[٨].

ومنذ عام٢٢هـ في إمارة المغيرة بن شعبة بدأ الناس بتشييد المساكن الحقيقية من الآجر وأول تلك المساكن بنيت في محلة كندة، ولقد قسمت الكوفة في الثلاثين سنة الأولى من تمصيرها إلى أسباع وهي:

١- كنانة وحلفاءهم (الأحابيش) وجديلة ويكنون بأهل العالية وعددهم ضئيل بالنسبة إلى غيرهم.
٢- قضاعة وغسان وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد وهم من اليمانيين.
٣- مذحج وحمير وهمدان وهم من العناصر اليمانية الخالصة.
٤- تميم والرباب وبنو العصر وهم من العناصر الحضرية التي لم يبق منها سوى تميم.
٥- أسد وغطفان ومحارب ونمير من بكر بن وائل وضبيعة وتغلب ومعظمهم من ربيعة.
٦- أياد وعك وعبد القيس وأهل الهجر والحمراء.
٧- طي، القبيلة التي قل شأنها وعلى الرغم من وجود سهم لهذه القبيلة في الغنائم والفيء منذ البداية، ورغم إنها كانت تشكل في صنفين فيلقاً مستقلاً إلا أن اسم هذا السبع لم يذكر في المصادر.

وقد تغير سكن القبائل في هذه الأسباع مع قدوم الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة بعد وقعة الجمل سنة ٣٦هـ[٩]. وفي سنة ٥٠هـ في إمارة زياد بن أبيه تحولت الكوفة من الأسباع إلى الأرباع شأنها شأن البصرة وكما يلي[١٠]:

---

(١) الموسوي، ص٨٤.
(٢) أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري(ت ٣٤٠هـ)، تأريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، النجف
(٣) ابن الأثير، الكامل، ٣٦٨/٢.
(٤) الحموي، المعجم، ٣٩١/٤.
(٥) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي(ت ٢٨٤هـ)، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١، ص٣١٠-٣١١.
(٦) لويس ماسينيون، خطط الكوفة وشرح خريطتها، ترجمة تقي محمد المطبعي، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، مطبعة الغري، النجف، ١٩٧٩، ص٣٧.
(٧) ابن الأثير، الكامل، ٣٦٨/٢-٣٦٩.
(٨) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني(ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٩٦٤ص ١٨٧-١٨٨.
(٩) ماسينيون، الخطط، ص٤٢-٤٨.
(١٠) ماسينيون، الخطط، ص٦١.

١- أهل العالية.
٢- تميم وهمدان.
٣- ربيعة وبكر وكندة.
٤- مذحج وأسد.

والفرات من الكوفة على مقدار نصف فرسخ مما يلي الجانب الشرقي، والذي يتكون من حدائق نخيل ملتقة يتصل سوادها ويمتد امتداد البصر[١]، وكانت ثغور الكوفة أربعة، حلوان وعليها القعقاع، وماسيندان وعليها ضرار بن الخطاب، وقرقيسيا وعليها عمر بن مالك، والموصل وعليها عبد الله بن المعتم، وولي سعد بن الوقاص الكوفة بعد تخطيطها ثلاث سنين ونصف[٢].

وكان في الكوفة شوراع حقيقية تسمى السكك وعرضها خمسون ذراعاً تنار بالمشاعل ليلاً مثل سكة شبث في منازل تميم وسكة العلاء بن محرز في منازل قريش، وسكة عميرة في منازل كندة وفيها مفارق للطرق تسمى (جهار سوج) وهي كلمة خارجية تعني الجهات الأربع وهي جهار سوج خنيس وبجيلة، وكندة، وهمدان[٣].

وأما المسافات بين الكوفة وما يليها من المدن فمن الكوفة إلى المدينة نحو (عشرين مرحلة) وبين المدينة إلى مكة نحو (عشر مراحل) ومن الكوفة إلى مكة أقصر من هذا الطريق بنحو ثلاث مراحل[٤]. ومسافة الطريق من الكوفة إلى البصرة (٨٥فرسخاً) يبدأ من الكوفة إلى القرعاء والتي بها مسجد سعد ومنه إلى مارق ثم إلى القلع ثم سلمستان ثم أقز ثم الأخاديد ثم إلى عين هيد فعين جمل ومنها إلى البصرة[٥].

ولم يكن في الكوفة بادئ الأمر سور أو خندق بل كانت حفرة في الجهة الشمالية الشرقية تسمى (مستاة جابر) إضافة إلى قنال في الجنوب الشرقي هو نهر البويب ومنه مدت الجداول حيث الحمامات والسقايات ولم تكن في الكوفة آبار صالحة للشرب طيلة الأعوام المائة الأولى بل كان الماء ينتقل من شريعة الفرات، وبعد زمن حفروا بئراً فوجدوا ماءها صالحاً للشرب سميت بـ(بئر علي)[٦].

وكان لكل قبيلة جبانة (مقبرة) تعرف بها مثل جبانة الأزد وجبانة مراد وجبانة كنده وهكذا[٧].

(١) الكناني، رحلة ابن جبير، ص١٨٩.
(٢) ابن الأثير، الكامل، ٣٦٩/٢-٣٧١.
(٣) ماسينيون، الخطط، ص٦٦-٧٠.
(٤) الحموي، المعجم، ٤٩٣/٤.
(٥) أبو علي أحمد بن عمر بن رسته(ت ٢٩٠هـ)، الأعلاق النفسية، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١، ص١٨٠.
(٦) ماسينيون، الخطط، ص٧١.
(٧) اليعقوبي، البلدان، ص٣١١.

المبحث الثاني:

الكوفة في كتاب (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)

سنتناول في هذا الفصل كل ما ورد عن الكوفة في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لمؤلفه أبي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ)، بعد أن جردناه جرداً كاملاً وبحثنا فيه عن كل شاردة وواردة تتعلق بأي معلومة من الكوفة حيث سنثبت المعلومة دون تدخل فيها....

(١) الكوفة:

معروفة ويقال لها أيضاً كوفان وسميت بالكوفة لأن سعداً لما افتتح القادسية نزل المسلمون الأنبار فآذاهم البق فخرج فارتاد لهم موضع الكوفة، وقال تكوفوا في هذا الموضع أي اجتمعوا والتكوف: التجمع، وقال العتبي والكوفة رملة مستديرة ومنه قولهم كأنهم يدورون في كوفان أي في شيء مستدير، وقال محمد بن سهل سميت الكوفة لأن جبل ساتيدما محيط بها كالكفافة عليها، قال وكانت الكوفة منزل نوح وهو بنى مسجدها ثم مصرها سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب وقيل بل سميت بجبل صغير كان فيها يسمى كوفان[٨].

(٢) ساتيدما:

بكسر التاء وبعدها يا ودال مهملة وهو جبل متصل ببحر الروم إلى بحر الهند وليس يأتي يوم من الدهر إلا سفك عليه دم، وهو الجبل الذي يحيط بالكوفة كالكفافة ولأجله سميت المدينة بالكوفة[٩].

(٣) صحراء أثير:

بضم الهمزة وفتح التاء وهي منسوبة إلى أثير بن عمرو السكوني المتطيب وهو الذي استخرج من رئة شاة عرقاً وأدخله في جراحة علي عليه السلام ثم نفتح العرق واستخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال: اعهد عهدك يا أمير المؤمنين[١٠].

(٤) أنقرة:

بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر القاف بعدها راء مهملة، وضع بظهر الكوفة أسفل من الخورنق وكانت أباد تنزله في الدهر الأول[١١].

(٥) باجميرا:

بضم الجيم وفتح الميم وبالياء أخت الواو والراء المهملة المفتوحة، وهي موضع من سواد الكوفة وهو الذي عسكر فيه مصعب بن الزبير[١٢].

(٨) البكري، المعجم، ١١٤١/٤-١١٤٢.
(٩) المصدر نفسه، ٧١١/٣.
(١٠) المصدر نفسه، ١٠٩/١.
(١١) المصدر نفسه، ٢٠٣/١.
(١٢) البكري، المعجم، ٢٢٠/١.

(٦) بارق:

جبل بالسواد قريب من الكوفة نزله سعد بن عدي بن حارثة بن امرئ القيس فسمي بهذا الجبل باراً فهم بنو بارق، وروى محمود بن لبيد الأنصاري عن ابن عباس إن رسول الله ﷺ قال: الشهداء على بارق نهر في الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً[١].

(٧) بانقيا:

بزيادة ألف بين الباء والنون وكسر النون، أرض بالنجف دون الكوفة، وسبب تسميتها إن إبراهيم ولوطاً عليهما السلام مرا بها يريدان بيت المقدس مهاجرين فنزلا بها وكانت تزلزل كل ليلة وكانت ضخمة جداً، فلما باتا لم تزلزل فمشى بعضهم إلى بعض تعجباً من عافيتهم في ليلتهم، فقال صاحب منزل إبراهيم بأن ذلك بسبب شيخ بات عنده يصلي ليله ويبكي فسألوه المقام عندهم على أن يجمعوا له من أموالهم فقال إنما أمرت بالهجرة، فخرج حتى أتى النجف، فلما رآه رجع أدراجه فاستبشروا وظنوا إنه رغب فيما عندهم فقال لمن تلك الأرض يعني النجف، قالوا لنا، قال أتبيعونها قالوا هلي لك فو الله ما تنبت شيئاً، فدفع لهم غنيمات كن معه والغنم بالنبطية تعني نقيا، وذكر إبراهيم إنه يحشر من ولده من ذلك الظهر سبعون ألف شهيد، فاليهود تنقل موتاها إلى بانقيا لذلك الحديث[٢].

(٨) ذات التنانير:

وهي أرض بين الكوفة وبلاد غطفان وفيها قال الشاعر الراعي:

تحملن من ذات التنانير بعدما ... مضى بين أيد بها السوام المسرخ[٣]

(٩) الثوية:

بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد الياء أخت الواو، موضع من وراء الحيرة قريب من الكوفة وفيه مات زياد بن أبي سفيان وكان سجناً بناه تبع فكان إذا حبس فيه إنساناً ثوى فيه، وفيها قال الشاعر:

وبتن لدى الثوية ملجمات ... وصبحن العباد وهن شيب[٤]

(١٠) الجوسق:

من مصانع الفرس بالكوفة وفيها قال الشاعر قيس بن الأصم الضبي:

إني أدين بما دان الشراة به ... يوم النخيلة عند الجوسق الخرب[٥]

(١) المصدر نفسه، ٢٢١/١.
(٢) البكري، المعجم، ٢٢٢/١-٢٢٣.
(٣) المصدر نفسه، ٣٢٠/١.
(٤) البكري، المعجم، ٣٥٠/١-٣٥١.
(٥) المصدر نفسه، ٤٠٤/٢.

(١١) حامر:

موضع على الفرات ما بين الكوفة وبلاد طيء، وقيل هو واد يصب في الفرات[٦].

(١٢) دومة الكوفة:

بالضم أيضاً، وهي النجف بعينه وفيها يقول حنين العبادي:

أنا حنين وداري النجف ... وما نديمي إلا الفتى القصف[٧]

(١٣) دير الجماجم:

هو دير بظاهر الكوفة على طريق البر الذي يسلك إلى البصرة وفيه كانت الواقعة بين الحجاج بن يوسف وبين عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، ويقول أبو عبيدة سمي دير الجماجم لأنه كان يصنع أقداح من خشب وقدح الخشب يسمى جمجمة، وفي هذا الدير يقول الضحاك اليربوعي:

إن يهلك الحجاج فالمصر مصرنا ... وإلا فمثوانا بدير الجماجم[٨]

(١٤) دير قرة:

ويسمى قرة وهو بأزاء دير الجماجم وهو على قول ابن شبه، وهو ملاصق لطف البر ودير الجماجم مما يلي الكوفة، وفي ثورة ابن الأشعث نزل بدير الجماجم فيما نزل الحجاج دير قرة[٩].

(١٥) دير هند:

وهو دير بنته هند بنت النعمان وهو يقارب بني بني عبد الله بن دارم بالكوفة ما يلي الخندق في موضع نزه وقد ذكر عدة من الشعراء وفيه يقول معن بن زائدة الشيباني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... لدى دير هند والحبيب قريب[١٠]

(١٦) راسب:

بكسر السين والباء المعجمة بواحدة موضع قريب من العذيب بالكوفة وفيه قال القطامي:

سأخبرك الأنباء عن أم منزل ... تصيفتها بين العذيب فراسب[١١]

(١٧) الرهيمة:

بضم أوله على لفظ التصغير، موضع بقرب الكوفة وإياه على أبو الطيب بقوله:

وردنا الرهيمة في جوزة ... وباقية أكثر ما مضى[١٢]

(٦) المصدر نفسه، ٤١٨/٢.
(٧) المصدر نفسه، ٥٦٦/٢.
(٨) البكري، المعجم، ٥٧٣/٢-٥٧٤.
(٩) المصدر نفسه، ٥٩٢/٢-٥٩٣.
(١٠) المصدر نفسه، ٦٠٤/٢-٦٠٥.
(١١) البكري، المعجم، ٦٢٦/٢.
(١٢) المصدر نفسه، ٦٨١/٢.

(١٨) زرارة:

بضم أوله على لفظ اسم الرجل، قرية من قرى الكوفة وهي التي مر بها علي بن أبي طالب عليه السلام فقال ما هذه القرية قالوا قرية تدعى زرارة يلحم فيها وتباع فيها الخمر، قال ابن الطريق إليها قالوا باب الجسر، قال: انطلقوا إلى باب الجسر، فقام يمشي حتى أتاها، فقال علي بالنيران اضرموها عليها فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً[١].

(١٩) العذيب:

بضم أوله تصغير عذ، واد بظاهر الكوفة وفيه قال الشماخ:

فمرت على عين العذيب وعينها
كوقب الصفا جليسها قد تغورا[٢]

(٢٠) الغريان:

على لفظ تثنية الذي قبله معروفان بالكوفة وفيهما قال الكميت:

أتعرف رسماً بالغريين مقفراً لظبية أم أنكرت أو تنكرا[٣]

(٢١) قطوان:

بفتح أوله وثانيه بعده واو على وزن فعلان، موضع على باب الكوفة[٤].

(٢٢) الكناسة:

بضم أوله، معروفة بالكوفة كان بنو أسد وبنو تميم يطرحون فيها كناستهم فكتب خالد بن عبد الله إلى هشام يسأله أن يقطعه إياها فسأل ابن سعيد عنها فقال: ما بالكوفة مثلها، فلم يعطه إياها واتخذها لنفسه[٥].

(٢٣) اللج:

بضم أوله وتشديد ثانيه غدير عند دير هند وفيه قال الأعشى:

فأني وثوبي راهب اللج والتي
بناها قصي والمضاض بن جرهم[٦]

(٢٤) مخيس:

سجن بناه علي عليه السلام بالكوفة وكان له من قبل سجن يسمى نافعاً ولم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه فهدمه وبنى مخيساً وقال:

ألا تراني كيساً مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا
حصناً حصيناً وأميراً كيسا

وقال الخليل مخيس سجن الحجاج[٧].

(١) المصدر نفسه، ٢/٦٩٥-٦٩٦.
(٢) البكري، المعجم، ٣/٩٢٧-٩٢٨.
(٣) المصدر نفسه، ٣/٩٩٥-٩٩٦.
(٤) المصدر نفسه، ٣/١٠٨٤.
(٥) المصدر نفسه، ٤/١١٣٦.
(٦) البكري، المعجم، ٤/١١٥١.
(٧) المصدر نفسه، ٤/١١٩٩.

(٢٥) المذار:

أرض بقرب الكوفة سميت بذلك لفساد ترتبها، والمذر الفساد في الرائحة، وفيها قال العجاج:

بجانب الكوفة يوماً مشجباً وبالمذار عسكراً مشيبا[٨]

(٢٦) نافع:

اسم سجن بالكوفة كان علي بن أبي طالب عليه السلام بناه من قصب فنهبه اللصوص فبنى سجناً من مدر وحجر وسماه مخيساً[٩].

(٢٧) النجف:

بلا هاء وضع معروف بالكوفة وفيه قال الكميت:

فيا ليت شعري هل أبصرن بالنجف الدهر حضارها[١٠]

(٢٨) النخيلة:

تصغير نخلة، بالكوفة وهي التي كان علي عليه السلام يخرج إليها إذا أراد أن يخطب الناس[١١].

(٢٩) نفر:

قرية من سواد الكوفة بكسر أوله وتشديد ثانيه[١٢].

الخاتمة:

لقد تبين من دراستنا لتاريخ وتمصير وتخطيط مدينة الكوفة، وفي ضوء النصوص التاريخية التي وردت في كتابي (الأمم والملوك) للطبري و(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع)، إن الأسباب الرئيسية لتمصير الكوفة، واختيارها على أطراف الصحراء بالذات، هي أهمية موقعها من الناحية العسكرية، إذ يمكن من خلالها فرض السيطرة الكاملة على الموقع الغربي على طول الفرات، وذلك لقربها من البادية المجاورة للصحراء العربية، إضافة إلى اتصالها بالطرق الرئيسية في جميع الاتجاهات، وكذلك خلو المنطقة من العوارض الطبيعية، مما يسهل عملية إرسال المدر أو سحب القطع الحربية.

ومن ذلك نلاحظ وصية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص، عند اختيار أية مدينة بضرورة، بناءها بين حجر ومدر، لتكون قريبة من حافات الصحراء على طرق إن اختيار مدينة الكوفة لا يختلف عن سابقتها من المدن في إنشاءها إذ أنشأت قرب مدن أهلة بالسكان، فكانت بالقرب من مدينة الحيرة، وغيرها من المدن والمراكز العلمية، مما يؤدي إلى تسهيل عملية نمو الحركة الفكرية والاختلاط العلمي في هذه المدن.

(٨) المصدر نفسه، ٤/١٢٠٣.
(٩) المصدر نفسه، ٤/١٢٩٠.
(١٠) البكري، المعجم، ٤/١٢٩٩.
(١١) المصدر نفسه، ٤/١٣٠٥.
(١٢) المصدر نفسه، ٤/١٣١٨.

ويؤكد الطبري بأن أول ما اختط في الكوفة هي المسجد الجامع الكبير، والذي أصبح من المساجد الأربعة المهمة في العالم الإسلامي، وكذلك كثرت المساجد في الكوفة، وإن لم يتبق منها حالياً سوى مسجد السهلة.

لقد كان منهج الطبري في ما أورده في كتابه عن الكوفة يمتاز بالوضوح والبساطة والتسلسل المكاني والزماني في عملية البناء ولهذا جاء وصفه بسيطاً وواضحاً، أما البكري فقد تميز بتخصيص أغلب صفحات كتابه لأسماء ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، والتي لم يتطرق إليها الكثير من البلدانيين، من أمثال الحموي واليعقوبي وغيرهم، إلا أنه أهمل الكثير من أسماء المواضع والبلدان خارج شبه الجزيرة العربية إذ خصص معظم صفحات كتابه لأسماء المواضع في شبه الجزيرة العربية.

لقد تتبع البكري انتقال وسير القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى أماكن استقرارها. إن منهج البكري يختلف عن منهج الطبري في توضيح الصورة الدقيقة والبينة لخطط مدينة الكوفة، لذا جاء المبحث الأول في كتاب البكري في بيان خطط الكوفة من المصادر والمراجع الأخرى ولم نلاحظ تركيزه بصورة متكاملة لخطط هذه المدينة بسبب اهتمامه بمدن ومواضع الجزيرة العربية.

استخدم البكري لغة يشوبها الإبهام والغموض في وصفه لبعض المواضع والبلاد مثل عبارة (بلد معروف، موضع في ديار مرة أو تميم، أو موضع ذكره فلان ولم يحدده، موضع في البادية... الخ)، وهذه العبارات والمواضع دون تحديد مكانها بالضبط مما يوقع الباحث في حيرة تستلزم في كل منها الرجوع إلى الكتب البلدانية الأخرى لمعرفة مكانها بالضبط.

وأخيراً نلاحظ عدم اهتمام البكري بقياس المسافات بين البلدان سواء المسافات بالليالي والأيام أو المراحل أو الأميال مما شكل هذا الأمر ميزة انفرد بها البكري عن غيره من البلدانيين.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في البحث وبما توصلت إليه عبر ما ذكرته من شواهد وحوادث ومواضع، راجياً منكم القبول ومن الله عز وجل التوفيق.

المصادر والمراجع

(١) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ)، الجزء٢، الكامل في التاريخ، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ص١٩٨.

(٢) ابن بطوطة، شرف الدين أبو عبد الله بن محمد (ت٧٧٧هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٣٨.

(٣) البكري، أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز (٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلدان والمواضع، تحقيق مصطفا السقا، ط١، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٤٩.

(٤) البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٨.

(٥) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت عبد الله الرومي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

(٦) ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني (ت ٦١٤هـ)، رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٤.

(٧) ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨هـ)، تأريخ العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت، ١٩٥٩.

(٨) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، دار النشر فرانز شتايز، ط٢، نيسمبادن، ١٩٦١.

(٩) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، طبع الاستقامة، القاهرة، ١٩٣٩.

(١٠) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، قاموس المحيط الجزء٣، القاهرة ١٣٤٤هـ

(١١) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب راضح (ت ٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، الجزء٢، ١٣٥٨، البلدان، النجف، ١٩٥٧.

(١٢) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن جلال (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، الجزء١١، القاهرة.

(١٣) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٢٦هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الكتب العلمية، بيروت.

(١٤) يوسف خليف، حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

(١٥) البراقي، السيد حسين السيد أحمد (ت ١٣٣٢هـ)، تاريخ الكوفة، النجف، ١٣٥٦هـ

(١٦) العزاوي، عبد الرحمن حسين، الطبري، السيرة والتاريخ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٩.

(١٧) ماسينيون، لويس، خطط الكوفة، ترجمة تقي المصبعي، صيدا، لبنان، ١٩٣٩.

(١٨) حلاق، حسان، مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، بيروت، ١٩٨٦.

(١٩) الحكيم، د. حسن عيسى، محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية)، ألقيت على طلبة الدراسات العليا- الماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٣/١٩.

(٢٠) الحكيم، د. حسن عيسى محاضرات في مادة (تخطيط مدن إسلامية)، ألقيت على طلبة الدراسات العليا-الماجستير، كلية الآداب، جامعة الكوفة في ٢٠٠١/٤/٧.

(٢١) الجنابي، د. كاظم، تخطيط مدينة الكوفة، مطابع دار الجمهورية بغداد، ١٩٦٧.

* * *